التمثيل والصدق الفني: قراءة في ومضة "جرأة" لهيفاء حمودة

د. جمال الجزيري

جامعة السويس، مصر؛ جامعة طيبة، السعودية

هيفاء حمودة (MissWard Haana)

جرأة

قالت له : ارسمني أمام الآخرين لوحة ألوانها زاهية، فكر وتدبر وقرر أن لا يزيف الحقيقة.

ومضة "جرأة" للكاتبة السورية هيفاء حمودة تجسد لنا صراعا بين الواقع والمرجو، بين الحقيقة التي لا تجامل أحدا والتطلعات التي تجسد أوهام الذات وخيالاتها، بين صورة المرء عن نفسه وصورته كما يراها الآخرون.

تبدأ الومضة بفعل القول الذي يشير إلى امرأة تخاطب رجلا ما. وكلامها الذي توجهه إلى ذلك الرجل عبارة عن طلب. وهو طلب يهدف إلى تجميل صورة المرأة أمام الآخرين. ولا نعرف إن كان الرجل رسّامًا بالمعنى الفعلي أم أن الرسم هنا بمعناه المعنوي المتمثل في تصوير المرأة أمام الآخرين بصورة جميلة. والآخرون هنا قد يكونون جمهور اللوحة التي سيرسمها الرسام أو أفرادا من المحيط الاجتماعي أو الثقافي الذي ينتمي إليه كل من الرجل والمرأة.

ومن الواضح أن المرأة تدرك أن ألوان حياتها ليست ذاهية، وأن هذا الإدراك يُدخلها في صراع داخلي بين صورتها عن ذاتها كما تراها في الحقيقة وصورتها المبتغاة التي تريد أن تنتشر عنها في عيون الآخرين أو تتجسد أمام الجمهور الذي سيتلقى اللوحة التي سيرسمها هذا الفنان. ومن الواضح أيضا أن العلاقة بينها وبين هذا الرجل تسمح لها بالصراحة معه وبأن تطلب منه طلبا كهذا، كما أنه يعرف حقيقتها أو حقيقة الموضوع محل التمثيل أو التصوير. ولكن هذه الصراحة ذاتها تضع الرجل/الرسام في حيرة مماثلة، ولذلك يبدأ في التفكير والتدبّر بعدما يتلقى طلبها، ويخلص من هذا التدبر إلى قرار يتماشى مع صراحته التي تتحول من صراحة بينهما إلى صراحة مع النفس واحترام للأداة التعبيرية التي يمتلكها، وهو احترام يقوده إلى تصوير هذه المرأة على ما هي عليه.

ويمكننا أن نرى عدة سياقات محتملة لهذه الومضة. فبالرغم من أن سياق الومضة مكتمل في حد ذاته، يقوم هذا السياق على الإيحاء الذي يفتح هذا السياق على عدة تأويلات. فيمكننا أن نتخيل أكثر من سياق هنا. على سبيل المثال، يمكننا أن نعتبر الرجل والمرأة زوجين، وتطلب الزوجة من زوجها أن يصورها ويصور الزواج بصورة برّاقة أمام الآخرين. ويمكننا أن نرى فيها رسّامًا يقوم برسم لوحات للآخرين بأجر أو بدون أجر، وتطلب منه المرأة أن يرسمها بصورة برّاقة ذاهية تصورها تصويرا أفضل مما هي

عليه في الواقع. ويمكننا أيضا أن نبصر في المرأة كاتبة أو مبدعة ما وفي الرجل ناقدا، وتطلب الكاتبة من الناقد هنا أن يصورها ويصوّر كتاباتها على أنها عبقرية مثلا ولكن الناقد لا يقبل أن يخون ضميره – بالرغم من أن تفكيره وتدبره يوحي بأن هذا الضمير مرن نوعا ما، ولكنه في النهاية يقرر الالتزام بالصدق في التعبير النقدي عن كتابات هذه الأديبة.

obeikandl.com